سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس الرابع

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس الرابع

- فإذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهٰذا.
- وأنَّ هٰذا لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي [دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ وَ] دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ.
- وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، الَّذي يُسَمِّيهِ المشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا (الاعْتِقَادَ)؛ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ ﷻ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائِكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِم مِن الله ﷻ لِيَشْفَعُوا لَهُم، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحًا مِثْلَ: اللَّاتِّ، أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى.
- وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هٰذا الشِّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلاَصِ العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[الرعد:١٤].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع، وأن يستعملنا فيما يحب ويرضىٰ، وأن يقينا فتنة الدُّنيا وفتنة الممات، اللّٰهمَّ ثبتنا علىٰ دينك حتىٰ نلقاك.

هٰذا الكلام صلة لما سبق، وقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في أوائل هٰذه الرسالة العظيمة «كشف الشبهات»، قوله: (فإذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهٰذا) إشارة إلىٰ إقرارهم بما جاء في الآيات السابقة، وهو الإقرار بتوحيد الربوبية، وقد ذكرتُ لك أنّ إقرار المشركين بالربوبية يختلفون فيه:

- فمنهم من يقرُّ بأفراد منه كثيرة.
- ومنهم من يقرُّ بأكثره.
- ومنهم من يقر بأنواع الربوبية لله جل وعلا، وأنه واحد في ذلك.

فإقرار المشركين بتوحيد الربوبية مختلفٌ؛ ليسوا جميعا فيه علىٰ مرتبة واحدة، لكن يجمعهم أن جميع من أرسل الله جل وعلا إليهم الرسل، لم يكونوا منكرين لوجود الصانع، لم يكونوا منكرين لوجود الرب الخالق الرّزاق الذي يدبر هٰذا الملكوت ويُجري الأفلاك ويُجري ما به صلاح العباد، لم يكن أحد ينكر هٰذا، إلا طائفة كما قال الشهرستاني في بعض كتبه قال: إلا طائفة لا يصح أن تنسب إليهم مقالة. لأنهم كانوا أفرادًا متفرقين، كلّ من بعثت إليهم الرسل كانوا يقرون بأن الله جل وعلا هو الذي خلق هٰذا الخلق، وهو الذي خلق الأفلاك والسماء، وهو الذي خلق الأرض، وهو الذي أجرىٰ المياه،

وهو الذي خلق الإنسان والحيوان، وهو الذي قسم الأرزاق، وهو الذي من توكل عليه لم يَخِبْ، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي إذا فتح رحمة فلا ممسك لها، وهو الذي جل وعلا بيده ملكوت كل شيء يدبِّر الأمر، يحيي ويميت، ويمرض ويصح، ويُفقر ويُغني، كما شاء جل وعلا، هٰذا الإقرار لا يُدخل المرء في دين الله لا يدخل المرء في التوحيد، ولهٰذا عظُمت الشبهة بهٰذه المسألة في كل زمان.

وتحقيقُ هٰذه الشبهة التي أراد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كشفها هي شبهة من يقول: كيف يُحكم بالشرك علىٰ من يقرّ بوجود الله وأنه هو الذي يتصرف في الملكوت، ويقول: ما شاء الله، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وربما دعا وصلىٰ وتصدق إلىٰ غير ذلك مما ذكرنا سابقا من أنواع العبادات؟ فما الذي جعل أولئك كفارًا؟ ما الذي جعلهم مشركين؟ ما الذي جعلهم يُشركون؟ ما الذي جعلهم ليسوا بأتباعٍ لمحمد ﷺ؟

لا بد من تحقيق ذلك، إذا تحققت أنهم مقرون بأفراد الربوبية وأنهم يعظمون الله جل وعلا في بعض ما يستحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تقرَّر ذلك في قلبك وعرفته معرفة يقين، فلا بد أن تعلم أن ذلك الإقرار لم يدخلهم في توحيد الله جل وعلا.

ولهٰذا قال هنا: (فإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهٰذا) يعني بما سبق إيضاحه (وأَنَّهُ) يعني ذلك الإقرار (وأَنَّـهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْـهِ رَسُـولُ الله ﷺ.) لا بد أن تبحث وأن تعلم ما الذي جحدوه؟ ما الذي به صاروا مشركين؟ وإذا تأملت حالهم وجدت أنهم صاروا مشركين بعبادة غير الله جل وعلا.

فإذن صارت الأفعال قسمين:

- **القسم الأول**: أفعال الرب جل وعلا.
- **والقسم الثاني**: أفعال العباد.

أفعال الرب: توحيده بها لا يكفي؛ لأنّ المشركين كانوا موحّدين لله جل وعلا بأفعاله؛ يعني كلُّ فعل لله يعلمون أنه ليس له شريكٌ فيه علىٰ الكمال والحقيقة.

والقسم الثاني من الأفعال أفعال العباد: هي التي من جهتها صاروا مشركين، فالواجب في التوحيد الذي دعت إليه الرسل أن يوحَّد الله جل جلاله بالنَّوعين من الأفعال أفعاله سبحانه وأفعال العباد أيضا، وإنما صار ابتلاء الناس بالرُّسل من جهة توحيد العباد ربَّهم جل وعلا بأفعالهم وليس بأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لابد أن نعلم ما التوحيد الذي جحدوه، علمنا التوحيد الذي أقروا به وهو توحيد الربوبية، لكن ما التوحيد الذي جحدوه؟

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: (وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ) توحيد العبادة هو الذي جحده المشركون لم؟ لأنه قال لهم عليه الصلاة والسلام: «قولوا: لا إله إلا الله» فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[ص:٥]، ومن المتقرر المعروف أن معنىٰ الإله في لغة العرب المعبود؛ لأن كلمة إله مشتقة من

أله، يأله، إلٰهة، وألوهة، وهٰذا بمعنىٰ العبادة، فالإله هو المعبود، وقول: (لا إله إلا الله) يعني لا معبود حق إلا الله.

ويدل علىٰ تفسير العبادة بذلك قول الله جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[هود]، هٰذه وصية الله جل وعلا لجميع المرسلين ولجميع الناس، (لا تعبدوا إلا الله) مساوية لـ(لا إلٰه إلا الله)، فصار بالمطابقة الإله هو المعبود، والإلهة هي العبادة، لا إله إلا الله يعني لا معبود إلا الله، يعني لا تعبدوا إلا الله، المشركون يفهمون اللغة ويفهمون معاني الكلام في زمن النبوة، فلما قال لهم: قولوا: لا إلٰه إلا الله؛ دعاهم إلىٰ لا إله إلا الله علموا أن المعنىٰ أن يدعوا جميع الآلهة وأن لا يتوجهوا بنوع من أفعالهم إلىٰ شيء من تلك الآلهة، فقال الله جل وعلا عنهم في سورة الصافات: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ ۝٣٦﴾، يعني النبي ﷺ، وقال جل وعلا عنهم أيضا في سورة ص: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾[ص:٥].

أما الأرباب بمعنىٰ الربوبية الخلق والرزق والإحياء والإماتة فهم لم يجعلوا لهم أربابا مختلفين، لكن الرب بمعنىٰ المعبود بالتلازم هٰذا يكون بالمعنىٰ الأول يعني يأتي الرب بمعنىٰ المعبود كما ذكرنا في نحو قوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ﴾[يوسف:٣٩]، وفي نحو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾[التوبة:٣١].

إذن المشركون صاروا مشركين بعبادتهم غير الله جل وعلا.

وذكرنا لك فيما مضىٰ أن تلك العبادة لغير الله كانت من جهة الاعتقاد في الأرواح الطيبة؛ الأرواح الخيّرة، اعتقدوا في الملائكة؛ لأن الملائكة أرواح خيّرة، اعتقدوا في الأنبياء؛ لأن الأنبياء أرواح طاهرة، اعتقدوا في الصالحين لأن الصالحين لهم أرواح طيبة، فمن جهة خيرية الأرواح وزكاء الأرواح وطهرتها وقربها من الله جل وعلا اعتقدوا في تلك الآلهة، فصار سبب شرك المشركين الاعتقاد في الأرواح، – خلُّوكم معي – صار شرك المشركين الاعتقاد في الأرواح.

هٰذه الحقيقة هي حقيقة الشرك بالله جل وعلا في جميع رسالات الرسل جاءت لدحض هٰذه المسألة؛ وهي بيان أنّ من جعل للأرواح تأثيرا، من جعل أن للأرواح خواص ليست بشرية[1] وإنما خواص من جهة خواص الآلهة فهٰذا هو الشرك بعينه.

فنوح عليه السلام جاء إلىٰ قوم يعتقدون في أرواح الصالحين وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣﴾ [نوح] قال ابن عباس: أسماء رجال صالحين. الملائكة اعتقدوا فيها لطُهْرة أرواحها، اعتقد المشركون في الصالحين وفي بعض الرسل والأنبياء لأجل طُهرة أرواحها.

إذا تقرر هٰذا وصار عندك حقيقة واضحة؛ لأنّ أعظم مسألة أنْ تعلم لما صار المشركون مشركين في

---

[1] انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث.

دعوة كل نبي وكل رسول، علمت حقيقة الشرك ما هو.

فإذا علمت حقيقة الشرك، فأي شيء سُمي به ذلك الشرك فلا يغير الحقيقة؛ لأن الأشياء تعرف بحقائقها وبمعانيها لا بألفاظها.

المشركون في الزمن المتأخر في القرون الماضية غيّروا الأسماء فسموا الشرك في العبادة الاعتقاد، كما ذكر الشيخ هنا قال: (وهو الَّذي يُسَمِّيهِ المشرِكُونَ في زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ) يعني توحيد العبادة (يُسَمِّيهِ المشرِكُونَ في زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ) يعتقد في الولي، هٰذه كلمة تسمعها إلىٰ الآن بكثير من الأمصار يقول هٰذا له روح فيها سر، والروح يسمونها السر أيضا، فيعدلون مثلا عن قدس الله روحه إلىٰ قدس الله سره.

ما الفرق بين الروح والسر؟

السر عندهم هو الروح التي يُعتقد فيها فتغيث، فصار لها سر من الأسرار.

تسمية الشرك بالاعتقاد، تسمية الشرك بالتوسل، تسمية الاستغاثة بالتوسل، وتغيير حقائق الأسماء وحقائق الألفاظ، هٰذا لا يعني تغيّر حقائق الأشياء وحقائق المعاني؛ لأن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ.

فالخمر لو سميت بغير اسمها لو سميت شرابا روحيا بقيت خمرا محرمة، ولو سميت بأحسن الأسماء وبأقرب الأسماء للنفوس، لو سمي الربا بتسمية جائزة يعني بتسمية لائقة سمي فائدة أو سمي مكسبا أو سمي مضاربة وحقيقته هي حقيقة الربا يبقىٰ الربا، فالعبرة في الشرع بالمعنىٰ وليست العبرة بالألفاظ، قد جاء في الحديث «أن قوما يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها»، الألفاظ لا تغير الحقائق.

فلما كان المشركون في زمن الإمام المصلح الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ غيروا الأسماء الْتبس هٰذا علىٰ كثير من أهل العلم كيف يكون هٰذا هو الشرك الذي به صار أهل الجاهلية مشركين، لأجل تغير الأسماء، إذا قلت: إنهم يستغيثون بغير الله. قالوا: هٰذا توسل والتوسل بالصالحين جائز، كما هو مذكور في كتب الفقه.

ذاك التوسل شيء وهٰذه الاستغاثة التي أسميتوها توسلا اشتباها هٰذه حقيقتها شيء آخر.

إذا قلت: إن الذبح لغير الله شرك الأكبر من جنس تقرب المشركين لأولئك بالقرابين لتلك الأصنام والأوثان بالقرابين.

قالوا: ليس هٰذا ذبحا للميت وإنما هو تقرب لله؛ لكن باسم الميت حتىٰ يشفع الميت عند الله، وإلا فإن المقصود هو الله جل جلاله، فغيروا الأسماء وبقيت حقيقة الاعتقاد.

ولهٰذا الشيخ سماه هنا (الَّذي يُسَمِّيهِ المشرِكُونَ في زَمَانِنَا (الاعْتِقَادَ)) والاعتقاد هو تعلّق القلب بمن تقرب إليه ذلك المتقرب، فإذا تعلق قلب المسلم بالميت –تعلق به من جهة كشف ضرٍّ أو من جهة جلب نفع أو بالتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة– صار ذلك شركًا منه مُخرجا له من الملة ولو كان مصليا صائما.

فإذن حقيقة التوحيد وحقيقة الشِّرك لا بد أن تتضح كمقدمة لـ«كشف الشبهات»، بـم صار المشركون مشركين؟ من جهة الاعتقاد في الأرواح.

بم صار الموحدون وأتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صاروا موحدين ومسلمين؟ من جهة تعلقهم واعتقادهم بالله وحده دونما سواه ونبذ التعلق بالمخلوقين وبالأموات والأوثان والأصنام الذي حقيقته التعلق بالأرواح.

ذكرتُ لك أن المشرك ليس عادمَ العقل حيث إنه يتعلق بحجر لا معنىٰ له، أو يتعلق بشجر لا معنىٰ له، أو يتعلق بخشب لا معنىٰ له، وإنما يتعلق بهٰذه الأشياء لما لها من الخاصية، من جهة حلول الأرواح فيها: إما أرواح الصالحين، أو أرواح الكواكب، أو أرواح الملائكة باعتقادات مختلفة، صاروا مشركين لأجل اعتقادهم، سواءً أكان ذلك الاعتقاد في نفسه موافقا لحقيقة الأمر أم لم يكن موافقا.

مثال ذلك: ما يحصل الآن عند قبر الحسين في مصر، من المعلوم عند المؤرخين أن رأس الحسين لم يُحمل إلىٰ مصر، وإنما حمل رأسه إلىٰ الشام، ومصر لم يصلها رأس الحسين، فجعل هناك قبر ومدفن فمن تعلق بذلك القبر تعلق بالحسين، وإن كان المدفون ليس بالحسين أصلا، فصار مشركا ولو لم يوافق اعتقاده الحقيقة؛ لأنه تعلق قلبه بغير الله جل وعلا في هٰذه البقعة.

فإذن مدار الشرك هو الاعتقاد في المخلوق بأن له بعض خصائص الإله؛ له أن يشفع عند الله جل وعلا بدون إذنه ورضاه، يجعلون له خاصية أنّ الله جل وعلا لا يردّ له طلبا، ويجعلون له خاصية أنه يسمع ما يُتكلم به وأنه يُغيث من استغاث به وأن أكثر الناس تقربا إليه هو يكون أقرب إليه من غيره، فيشفع له ويعطيه طلبته وحاجته.

إذن من المهمات في هٰذا الباب قبل الدخول في الكتاب ما قدّم به الشيخ هٰذه الرسالة بهٰذه المقدمات المهمة:

أن تعلم أولا حقيقة شرك المشركين، تعلم حقيقة عبادة أولئك.

وأنهم كانوا يتعبدون، لم يكونوا خالين من التعبد كما ذكر بأول الكتاب؛ أنهم كانوا يصلون ويتصدقون ويحجون ويتفاخرون بالمعروف، ولكن لم يكونوا موحدين وصاروا مشركين من جهة أنهم اعتقدوا بغير الله جل جلاله وأنهم تقربوا إلىٰ تلك الآلهة بأنواع القرابين والعبادات.

واعتقادهم في الآلهة كان من جهة الاعتقاد في الأرواح، الاعتقاد في أسماء تلك الآلهة وتمثيل تلك الأسماء بأرواح طاهرة لها عند الله جل وعلا المقام الأعظم.

فإذا كان كذلك فمن أشرك بالله جل وعلا بأي نوع من أواع الشرك الأكبر فإنه حابطٌ عمله ولو كان مصليا صائما؛ لأنه كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] وهو النبي عليه الصلاة والسلام فكيف بمن دونه.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (عَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ) يعني جحده المشركون (هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ) يعني أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يتوجه إلا إلىٰ الله، أن لا يدعىٰ إلا الله وأن لا يستغاث إلا بالله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله وسائر أنواع العبادة.

قال: (الَّذي يُسَمِّيهِ المشرِكُونَ في زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ؛ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ ﷻ لَيْلًا وَنَهَارًا) فهل المشركون لم يكونوا يدعون الله؟ كانوا يدعون الله وكانوا يتقربون لله، ومع ذلك هم مشركون، لم؟ لأنهم أشركوا؛ دعوا الله ودعوا معه غيره، ذبحوا لله وذبحوا مع ذلك لغيره، نذروا لله ونذروا مع ذلك لغيره، استغاثوا بالله ومع ذلك استغاثوا بالأرواح بالملائكة بالجن بالصالحين بالأنبياء إلىٰ غير ذلك، فصارت هنالك شركة؛ جعلوا لله عبادات وجعلوا أيضا تلك الأرواح شيئا من أنواع العبادة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: (ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائِكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُـرْبِهِم مِـن الله ﷻ لِيَشْفَعُوا له) من المشركين من يدعو الملائكة كما قال جل وعلا في سورة سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾، لأنهم عبدوهم، فهل كانوا يعبدون الملائكة في الحقيقة؟ أجابت الملائكة بما أخبر الله جل وعلا به في قوله: ﴿ قَالُوا۟ ﴾ يعني الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾[سبأ:٤١] يعني تنزيها لك عن أن يكون معك معبود بحق، تنزيها لك أن نستحق العبادة، تنزيها لك عن ذلك الظلم الذي وقع من الناس بإشراكهم من الملائكة مع الله في الدعاء وفي العبادة، ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[سبأ]، فحقيقة أولئك في اعتقادهم أنهم سألوا الملائكة، في اعتقادهم أنهم توسلوا بالملائكة، في اعتقادهم أنهم استغاثوا بالملائكة، لكن حقيقة الأمر أنهم استغاثوا بالجن؛ أنهم عبدوا الجن؛ لأن الجن تأتي وتتكلم عند ذلك الوثن، تتكلم عند القبر، تتكلم عند الصنم، فيظنون أن الذي كلّمهم الملك، يظنون أن الذي خاطبهم وخاطبوه وأجابهم وسألوه إنما هم الملائكة، وفي الحقيقة إنما هم شياطين الجن؛ لأن الجن مهمتهم أن يغووا الإنس لأنّ إبليس قال لربنا جل وعلا: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء]، وقال جل وعلا عنه في آية أخرىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الحجر] فدلّ علىٰ أن الذين استثنىٰ الله جل وعلا من أن يقعوا في حبائل إبليس إنما هم عباد الله المخلَصون، وهم الذين أخلصوا لله جل وعلا دينهم فخلصوا لله ﷻ وأخلصهم الله جل وعلا من الشركة في العبادة والتوجه.

قال: (مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائِكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُـرْبِهِم مِـن الله) هٰذه مقدمات مهمة؛ يعني لم عبدوا الملائكة؟ هل رأىٰ الناسُ الملائكةَ؟ ما رأوا الملائكة، هل اعتقدوا في الملائكة اعتقاد وهم لا يعرفون الملائكة؟ لا، وإنما اعتقدوا في الملائكة لأنهم يعلمون أنّ الملائكة:

- أولا: أرواح طاهرة، صالحة، لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم لم يعصوا الله جل وعلا ما أمرهم ولم يرتكبوا خطيئة.
- والثاني: أنهم مقربون عند الله جل وعلا.

فإذن شرك المشركين بالملائكة كان من جهة شبهتين:

الشبهة الأولىٰ: أنهم أرواح طاهرة صالحة لم تعصِ، ولذلك كانت أرفع من البشر، أرفع من المخطئين من العصاة، فإذا أراد العاصي أن يتقرب إلىٰ الله ضعفت نفسه فذهب يتقرب بأرواح طاهرة

إلىٰ الله، بظنه أنه لأجل معصيته لا يستطيع أن يصل إلىٰ الله جل جلاله، هٰذا واحد.

الثانية: لأجل قرب الملائكة من الله جل وعلا.

فتعلق المشركون بالملائكة لأجل هاتين العلتين؛ صلاح الملائكة وطهرة أرواحهم ثم لأجل قربهم من الله جل وعلا.

إذا تأملت وجدت أن هٰذه الحقيقة هي الموجودة في المشركين في كل زمان ومع تغيّر الأحوال وتغير المتعلقات، إذا سألت النصارىٰ لم دعوا مريم؟ لم يستغيثون بمريم عليها السلام؟ لم يستغيثون بالرسل رسل المسيح؟ لم يستغيثون ببطارقتهم الأموات والأحياء؟ لم يصورون التصاوير ويجعلونها في كنائسهم؛ تصاوير الرجال الصالحين أو مريم وعيسىٰ؟ لم يعبد اليهود بعض البشر ويتعلقون بأرواحهم؟ لم عبد قوم نوح تلك الأرواح؟ لم عبد قوم إبراهيم تلك الأصنام والأوثان؟ وهكذا إلىٰ زمن المشركين في الجاهلية؛ جاهلية العرب إلىٰ زمننا هٰذا، وجدت أن الشبهة هي الشبهة، الشبهة هي الشبهة في الملائكة:

- أولا أرواح طاهرة.
- ثانيا قربها من الله جل وعلا.

فمن أراد أنْ يجعل لله جل وعلا شريكا في العبادة يُتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة، فنقول له: الملائكة أحق، الملائكة أحق بأن تكون آلهة؛ لأن الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق، وهي مقربة عند الله جل وعلا بالاتفاق.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾[غافر].

الله جل وعلا يخبرنا عن الملائكة بأنهم صالحون لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم مقربون عنده، وأنهم يستغفرون للذين آمنوا، فسؤال الملائكة أولىٰ من سؤال غيرهم؛ لأن طهرة أرواحهم متفقٌ عليها، ولأن صلاحهم متفق عليه ولأن قربهم من الله جل وعلا متفق عليه ولأنهم يستغفرون عند الله للذين آمنوا باتفاق.

وهٰذا معناه إذا كان ذلك الشيئان صحيحين فمعنىٰ ذلك أن الشرك بالملائكة جائز، إذا كان التعلق بأرواح الصالحين واعتقاد أنه لقربهم من الله يكون لهم بعض العبادة فمعنىٰ ذلك أن سؤال الملائكة والشرك بالملائكة جائز.

والله جل وعلا أخبرنا في القرآن بأنه يقول للملائكة يوم القيامة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾ [سبأ]، فتقول الملائكة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ].

فمن أجاز الاستغاثة بالأولياء أو بالصالحين فقل له: الملائكة أليست الملائكة أرواح طاهرة صالحة وأليست الملائكة مقربة عند الله جل وعلا.

فإذا قال: بلىٰ هي كذلك. فقل: فلم لا تقول بجواز الاستغاثة بالملائكة؟ لم لا تقول بأن الملائكة لها الأحقية في أن يطلب منها؛ لأن السبب الذي من أجله توجه للموتىٰ للصالحين والرسل والأنبياء متحقق في الملائكة.

والعرب ومن قَبلهم من أجل قوة أذهانهم في مسائل العبادة وحرصهم عليها جعلوا المسألة واحدة بدون تفريق؛ عبدوا الملائكة وعبدوا الصالحين وعبدوا الأنبياء؛ لأن القدر المشترك بين هؤلاء موجود، وهو أنهم صالحون وأرواح طاهرة ومقربون عند الله جل جلاله.

لكن المشركون من هٰذه الأمة لم يعبدوا الملائكة وإنما عبدوا من زعموهم صالحين أو من هم صالحون في نفس الأمر.

وبهٰذا نعلم أنّ حقيقة شرك المشركين في كل زمان إنما هو راجع إلىٰ هاتين الشبهتين:

- شبهة صلاح المستغاث به؛ صلاح المعبود.
- والشبهة الثانية قربه من الله جل جلاله.

قال هنا: (لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِم مِن الله ﷻ لِيَشْفَعُوا له) هٰذه الغاية، ذاك سبب؛ لم تؤله الملائكة؟ للسببين اللذين ذكرنا، ما الغاية من سؤال الملائكة؟ ما الغاية من عبادة الملائكة؟

غايتها أن يشفع الملك عند الله للسائل.

نفهم من ذلك أن سؤال أولئك للملائكة لم يكن عن اعتقاد بأنّ الملك يعطيه مباشرة، وأنه يستقل في الإعطاء ويستقل بالإمضاء، وإنما هو اعتقاد في الملك بأنه لأجل صلاحه وقربه يملك أن يشفع عند الله، ولأجل قربه وجاهه لا يرد الله جل وعلا طلبه.

إذا تقرر ذلك، فبه تعلم أنَّ: ليس من شرط الشرك أن يكون السائل لتلك الأرواح وللأموات وللملائكة أنْ يعتقد أنها تنفع [السائل] استقلالا، كما زعم أكثر مشركي هٰذا العصر أنهم –يعني عباد القبور وعباد الأوثان– لا يسألون الموتىٰ باعتقاد أنهم ينفعون استقلالا، وإنما يقولون: نسألهم لما لهم من المقام عند الله حتىٰ يشفعوا لنا.

إذا كان هٰذا الأمر واقعا من أهل العصر، ومن عصر الشيخ ومن قرون، فالملائكة أشركت العرب بها، وأشرك المشركون بالملائكة لأجل الشفاعة فقط، ومع ذلك قال الله جل وعلا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠﴾[سبأ].

فالغاية وإن كانت ربما تكون يُعذر بها المرء؛ لكن الوسيلة كانت بالشرك، فالطمع في رضا الله جل وعلا هٰذه غاية طيبة، وكل العباد يطمعون في رضا الله جل وعلا، لكن لا بد أن يكون طلب رضا الله جل

وعلا بوسيلة مشروعة، وعبادة الملائكة وعبادة الصالحين لا يحصل بها رضا الله جل وعلا، ولو كان الذي عبد قال ما عبدتهم إلا لأجل أن يعفو الله عني، وإلا فالله جل وعلا هو الذي يعفو هؤلاء وسائط، يقول: هٰذا هو الذي من أجله حُكِم علىٰ أهل الإشراك بالشرك، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ في أول سورة الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، فإذن غاية أن يقرب المسؤولُ السائلَ إلىٰ الله زلفىٰ.

ليست غاية المشرك في الزمن الأول أنْ يعبد المسؤول لقصد أن يعبده، هٰذا غير موجود؛ يعبد الصنم لغاية أن يعبد الصنم في ذاته أو يعبد الملك لغاية أن يعبد الملك في ذاته؟ لا، وإنما يتقرب بالقرابين حتىٰ يعطف عليه الملك ويرفع حاجته إلىٰ الله، يتقرب بالقرابين للميت حتىٰ يعطف عليه الميت بروحه، وكلما تقرب أكثر ازدلف منه وقرب منه فيرفع حاجته إلىٰ الله جل وعلا.

فإذن غاية المشركين في عبادتهم غير الله جل وعلا أن يصِلُوا إلىٰ الله جل جلاله، وهٰذه هي الغاية الموجودة في أهل هٰذا الزمان يقولون: ما نعبد هٰذه ما نتوجه هٰذه التوجهات بأننا نعتقد في هٰذه الأموات أوفي الأرواح أنها تملك الأشياء استقلالا حاشا وكلا، وإنما لأجل أن تتوسط عند الله جل وعلا فهي أرواح طاهرة وهم مقرّبون عند الله.

يقول: هٰذا هو عين شرك الأولين، هو عين الإشراك الذي وقع في كل أمة بعث إليه رسول ينهاهم عن الشرك ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له. اللَّاتَّ هٰ

مهمٌّ أن تفهم الحقائق لأن تغير الصور وتلبيس الأمور وتسمية الأشياء بغير اسمها هٰذا لا يغير الحقائق في الشرع، وما جاء التلبيس إلا من جهة الألفاظ أنْ تسمىٰ الأشياء بغير اسمها.

قال بعد ذلك في صورة ثانية؛ مثل آخر، قال: (أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحًا مِثْلَ: اللَّاتِّ) قال جل وعلا: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾[النجم]. وفي قراءة ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَّ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ واللَّاتَّ رجل –كما قال ابن عباس– كان يلتُّ السويقَ، رجل صالح كان يلت السويق ويُطعمه الحاج وكان يجلس ويفرق ذلك عند صخرة، فلما مات جعلوا قبره عند ذلك المكان، وصاروا يتناوبون عليه لصلاحه، ويستغيثون به ويسألونه؛ لأجل أنه أمضىٰ حياته في صلاح وفي نفع للناس، فاعتقدوا فيه.

فهٰذا اللاتّ أشرك به العرب؛ لأجل أنّ روحه طاهرة وأن أعماله في الدنيا صالحة، فقالوا: هو إذن مقرّب عند الله جل وعلا، فإذا كان كذلك فلنتقرب إليه بالقرابين بالذبح والنذر، فلنستغث به، فلندعُه ليرفع الحاجات إلىٰ الله جل وعلا.

وهٰذا هو عين الشرك المشركين الآلهة المختلفة، بالموتىٰ، بالأنبياء، بالحسين، وبزينب، وبالبدوي وبالعيدروس وبعبد القادر وأنواع الموتىٰ من الأنبياء والصالحين لأجل هٰذه الشبهة؛ الصلاح والقرب من الله جل وعلا.

قال: (أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى.) مثّل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثلاثة أمثلة:

الأول: الملائكة.

الثاني: رجل صالح اللاتّ.

الثالث: بالأنبياء عيسىٰ.

وعيسىٰ اتخذ إلها يسأل ويطلب منه ويستغاث به وتنزل الحاجات به.

النصارىٰ مختلفون في عيسىٰ:

- ♦ إما أنه يرفع الحاجات إلىٰ الله جل وعلا ولا يرد الله جل وعلا طلبه، كما هو اعتقاد طائفة من النصارىٰ.
- ♦ أو لأنه تَشَخُّصٌ للإله، أو كما يقولون، أحد الأقانيم الثلاثة يعني صفة وصورة من صور الإله في بعض أحواله حيث اتّحد -كما يقولون- اللاهوت في الناسوت في هٰذه الصورة، فصورة حلول الإله في البشر متمثلة في عيسىٰ عند طائفة من النصارىٰ.

فالنصارىٰ يستغيثون ويسألون عيسىٰ: إما علىٰ أنه بعض الإله، أو علىٰ أنه مقرب عند الله الواحد، ويسأل لأجل قرب مقامه عند الله.

هٰذه ثلاثة أمثلة:

- استغاثة أو تأليه الملائكة بسؤالهم ودعائهم والاستغاثة بهم وإنزال الحاجات بهم والتعلق بهم، ورفع ما يريده العباد عن طريقهم؛ يعني أن يكونوا وسطاء.
- الثاني في الصالحين الرجال الصالحين مثل اللاتّ.
- وبعيسىٰ.

فهٰذه الأمثلة الثلاثة، إذا تأملتها وتدبرت وفهمت لم أشرك من توجه إلىٰ الملائكة؟ وبم وكيف أشرك من توجه إلىٰ الرجل الصالح اللات؟ وبم أشرك من توجه إلىٰ عيسىٰ؟ علمت حقيقة الشرك، ولم يلبّس عليك أو يقول قائل: هٰذا الذي يمارَس اليوم ليس بشرك، وإنما من سماه شركا أكبر مخرجا من الملة تشديد من المتشددين، أو من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته ومن اتبعه علىٰ ذلك؛ لأن حقائق الأشياء هي التي تُفصح لك عن الغرور.

قوله: (أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى) دليله قول الله جل وعلا في سورة المائدة في آخرها: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ

قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾[المائدة:١١٦]...[1]، مع قول عيسىٰ عليه السلام ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة].

قال بعد ذلك: (وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هٰذا الشِّرْكِ) لِمَ قاتل النبي عليه الصلاة والسلام قريش والعرب؟ لأنهم كانوا مشركين.

بم كانوا مشركين؟ بما ذكرنا سالفا بعبادة غير الله.

هل كانوا يعبدون غير الله لقصد ذلك الغير أم لأجل الوساطة والتوسل؟ لأجل الوساطة والتوسل بنص القرآن؛ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، لم يكونوا يتوجوه للات وهو الرجل الصالح أو الأنبياء بقصد أن يتوجهوا إليهم استقلالا، لا، إنما كان من أجل التقرب لله جل وعلا.

فكل يريد التقرب إلىٰ الله، وهٰذا التقرب يكون عن طريق واسطة، ولأجل هٰذه الواسطة صاروا مشركين لما توجهوا إلىٰ الموتىٰ، وإلىٰ الغائبين وإلىٰ الملائكة بأنواع العبادات.

قال: (وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هٰذا الشِّرْكِ) قاتلهم استحل دماءهم وأموالهم وجعل من يقاتل أولئك شهيدا إن مات في قتالهم، وجعله موحدا، وأولئك جعلهم مشركين، ومن قُتل من أولئك شهد عليه بالنار، ومن قتل من المسلمين شهد له بالجنة إن كان قتاله لله وهكذا، لم قوتلوا ولم استحلت أموالهم ودماؤهم؟ لأجل أنهم مشركون ذلك الشرك.

ولهٰذا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ قال في رسالةٍ له: (**وعرضتُ ما عندي من التوحيد علىٰ علماء الأمصار فوافقني طائفة والأكثرون وافقوني علىٰ التوحيد؛ لكن عَظُم عليهم التكفير والقتال**) وهاتان مسألتان ترتيب حتمي لما قدمناه؛ يعني إذا ثبت أنهم مشركون فلا بد أن تترتب أحكام المشركين، لا بد أن يقاتلوا مع القدرة علىٰ ذلك، لا بد أن يقاتَلوا، إذا قوتلوا لابد أن يكون هناك تميّز، هؤلاء موحدون وهؤلاء مشركون، ولابد أن يكون هناك نشر للتوحيد ودحض للشرك وإقرار لما يحب الله جل وعلا ويرضىٰ من الإخلاص وعبادته وحده لا شريك له في القتال، قال: (**خالفوني في القتال والتكفير**)؛ لأن التخلص من تأثير الناس في حقائق الأشياء يحتاج إلىٰ علم راسخ وإلىٰ تجرُّد من علائق الناس وشبهاتهم.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذه الرسالة يريد منها أن يكشف الشبهات ويبين أن التوحيد هو حق الله جل وعلا، وأن ما يمارس الناس في هٰذه الأزمنة بما يسمونه الاعتقاد والتعلق بالأرواح ونحو ذلك والاعتقاد في الميت، ويسمونه السيد= أنّ هٰذا عين الشرك، يترتب علىٰ ذلك الأحكام؛ بقية الأحكام من التكفير أولا، ثم قتالهم علىٰ أنهم كفار ومشركون.

وشرح الله جل وعلا صدر الشيخ وصدر أئمة الدعوة في أول هٰذا الزمان حتىٰ انتشرت دعوة التوحيد

---

(١) الظاهر يوجد سقط هنا.

ولله الحمد بهٰذه الدعوة المباركة وبتأليف من نصرها وأيدها بالسيف والسنان وهو الإمام المجاهد محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وكذلك أبناؤه من بعده، فبقيت هٰذه الدعوة في الناس إلىٰ اليوم لتساند السِّنان مع القرآن في ذلك.

وهٰذا لابد منه لا يمكن أن تنتشر إلا بقوة تحميه، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ دعوته وعلمه كان واسعًا ونشر التوحيد ودعا إلىٰ ذلك وصنف المصنفات، لكن لم يكن له سيف يحميه فسُجن ولم يتمكّن من نشر التوحيد في الناس، لكن الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أيده الله جل وعلا بالأئمة بآل سعود المبارك، ونشروا هٰذه الدعوة في الناس وبقيت إلىٰ هٰذا الزمان.

الناس الذين اعترضوا علىٰ هٰذه الدعوة قالوا: هٰذه الدعوة قاتلت الناس، تجد في كتب تواريخ نجد يقولون: قاتل المسلمون المشركين، ويستعظم الناس كيف يسمىٰ أتباع الدعوة مسلمين وكيف يسمىٰ الآخرون مشركين؟

نقول: هٰذه حتمية؛ لأن توحيد الله ليس فيه مجاملة إنما هو حق وباطل ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس:٣٢].

فلا بد من ترتب أحكام التوحيد والشرك في الأرض، فإذا وجد الشرك لا بد أن توجد الأحكام المناطة بذلك، وهو أن يوصف أولئك بأنهم مشركون وأنهم كفار، ولابد من قتالهم مع القدرة حتىٰ يكون الدين كله لله جل وعلا.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هٰذا الشِّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلى إِخْلاَصِ العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ [لا شَرِيكَ لَهُ] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾[الجن])، (قَاتَلَهُمْ عَلَى هٰذا الشِّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلى إِخْلاَصِ العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ) يعني إلىٰ التوحيد إلىٰ أن لا يعبد إلا الله، ألا يتوجهوا في شيء من أنواع العبادة إلا لله جل وعلا وحده.

وهٰذه الرسالة موضوعة لبيان حقيقة التوحيد وكشف كل شبهة أدلىٰ بها خصوم الدعوة في مسائل التوحيد، وبيان أنّ هٰذا الأمر حق لا لَبس فيه، ومن درس التوحيد حق الدراسة انشرح صدره لهٰذا الأمر أعظم انشراح، وصار في قلبه من تعظيم الله جل وعلا وتعظيم دعوة التوحيد ما به يستطيع أن يردَّ علىٰ المُبْطل في هٰذا الأمر.

ولهٰذا يُذكر أن أحد العامّة من أتباع الدعوة، قال له بعض المشككين أنتم متعصبون للشيخ محمد بن عبد الوهاب تعصُّب لأنه من نجد وأعلم وكذا فتتعصبون له، فقال هٰذا العامي لذلك المدلي بهٰذا الكلام، قال: لو خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبره، وقال: ما دعوتكم إليه وما ذكرته لكم غير صحيح، ما قبلنا كلامه واستمررنا علىٰ التوحيد، لأنهم ما أخذوا به تقليدا وإنما أخذوا به عن حجة بينة واضحة، فلو أتىٰ آتٍ وقال: هٰذا غير صحيح، مثلا ضل ضال كان من الموحدين كان من أتباع السلف كان من السلفيين ثم بعد ذلك انقلب إلىٰ شيء آخر، انقلب إلىٰ طائفة المشركين أو المبتدعة، فهل يشك الموحد

فيما عنده من الحق؟ لا، لم؟ لأنه عرف الحق بدليله، عرف الحق بنص من الكتاب والسنة وفعل سلف الأمة، والعلماء في هٰذه الأمة ليسوا كعلماء النَّصارىٰ، يُقبل ما يقولون هكذا مطلقا، بل هم أدوات لفهم نصوص الكتاب والسنة، ليسوا مستقلين، ما يقال: يطاع فيه دون نظر إن قال الشيء وبيّن الحق قبلت منه الأمة، والأمة لا تقر أحدا علىٰ ضلالة، فإذا ضل ضال بينت الأمة ضلاله ولله الحمد؛ لأنه لا تزال طائفة من الأمة علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله.

هٰذه المقدمات من المهم أن تراجعها مرة تلوىٰ الأخرىٰ؛ لأن فيها بيان ما في هٰذه الرسالة.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم الانتفاع بما سمعنا والانتفاع بما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

هٰذا الدرس بمناسبة الاختبارات يكون آخر درس، ونعود إن شاء الله بعد رمضان؛ يعني مع أول أسبوع من الدراسة حتىٰ يتمكن الإخوة الطلاب من الحضور للدرس.

[**الأسئلة**]: نأخذ ثلاثة أسئلة فقط.

سؤال (٢٤): ما رأيك في كتاب «الأصنام» للكلبي؟

الجواب: الكلبي متَّهم في حديثه، ولكن من جهة الأخبار والتاريخ والأشعار يقبل العلماء ما يذكره من ذلك؛ لأنه أخباري أو إخباري نسّابة معروف من العلماء المعروفين في التاريخ من حيث الأخبار والنسب، وما ذكره في كتاب «الأصنام» مما كان عند العرب أكثره صحيح؛ يعني العلماء تتابعوا علىٰ النقل عنه.

سؤال (٢٥): يقول: أليس شرك هٰذا العصر أعظم من شرك المشركين الأولين؛ لأنهم يعتقدون فيها أنها تنفع وتضر بذاتها؟

الجواب: لاشك طائفة من أهل هٰذا العصر زادوا علىٰ المشركين -مشركي الجاهلية- بأشياء، كما ذكر ذلك الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في «القواعد الأربع» في آخرها القاعدة الرابعة أن مشركي زماننا أعظم شركا من المشركين الأولين؛ لأن الأولين يشركون بالله جل وعلا في الرخاء، أما في الضراء إذا أصابتهم الشدة توجهوا إلىٰ وحده كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت]، وقال جل وعلا: ﴿[وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[لقمان.٣٢]، وقال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾[يونس:٢٢]، قال جل وعلا في سورة يونس: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿دَّعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، وشرك المشركين الأولين يشركون في الرخاء أما في الضراء فالمتجه إلىٰ الله وحده، وأما أهل هٰذا الزمان فإنهم يشركون بغير الله في السراء والضراء.

سؤال (٢٦): ما حكم الصلاة في مكان فيه صورة أو تمثال؟

الجواب: إذا كانت الصورة أو التمثال في غير جهة المصلي؛ يعني في غير القبلة فالصلاة صحيحة، لكن

بالجملة الصلاة في مكان فيه صورة لا تجوز، صورة أو تمثال؛ يعني صورة معلقة أو تمثال منصوب أو نحو ذلك في نفس المكان لا تجوز، لكن إذا لم يكن في جهة المصلي أو في بقعته يعني في مكان سجوده وصلاته فإن الصلاة صحيحة؛ لأن النهي ما توجه إلىٰ البقع، قد علمت أن النهي يقتضي الفساد إذا كان راجعا إلىٰ شرط من شروط الصلاة، والبقع من الشروط ولكن المقصود البقعة التي يصلي فيها لا ما حولها، والصحابة رضوان الله عليهم صلوا في الكنائس وفيها صور؛ لأنهم توجهوا إلىٰ القبلة في مكان ليس فيه صورة يعني في قبلتهم لما صلوا.

نكتفي بهٰذا القدر.

نعم آية سورة المائدة ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

بارك الله فيكم أستودعكم الله، يوم الثلاثاء ما فيه درس إن شاء الله يوم الخميس في الصباح إن شاء الله، وفقكم الله[1]

(١) انتهىٰ الشريط الثالث.